﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصّافّات: 103 - 107]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

اســتــســلامُ إبراهيمَ وابنِهِ لـربِّ الـعـالَمين بـتـنـفـيـذ ما أمرهما به

لَمّا علمَ إبراهيمُ ﷺ طاعةَ ابنِه إسماعيلَ ﷺ، ووَعَدَه بوعدٍ جازمٍ صادقٍ لا خُلْفَ فيه[1]؛ بادرا بالتَّنفيذ وإنفاذ أمرِ الله تعالى، مستسلِمَين خاضِعَين، فاستحقّا السَّلامةَ في الدّارَين، وتلك سنَّة الله في جزاء المحسنين المُطيعين؛ إذ يصرفُ عنهم المكائدَ والشَّدائد، ويجعل لهم مِن أمرِهم فرجًا ومخرجًا[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَسۡلَمَا﴾: (سلم) أصلٌ يدلُّ على الصِّحَّة والعافية والتِئام الشَّيء، ومنه أسلمَ بمعنَى: انقادَ وخضَعَ[3]؛ لأنَّ فيه السَّلامةَ مِن الإباءِ والامتناع، ومنه الإسلامُ، أي: الانقياد، وفُرِّق في حديث جبريل بَينه وبَين الإيمان، فجُعِل الإيمان باطِنًا بما تعلَّق بعَمَل القلب، والإسلام ظاهِرًا بما تعلَّق بعَمَل الجَوارِح[4]، وقولُهُ تعالى: ﴿أَسۡلَمَا﴾ أي: استسلَما لأمرِ اللهِ، وأذْعَنا، وسَلَّما[5]، أو: فوَّضا، وأطاعا[6]، أو: استَسْلَمَ إسماعيلُ للذَّبح، واستسلمَ إبراهيمُ لذبحِه[7]، وجميع هذه المعاني لا تَعارُض بينها، بل هي تَصُبُّ في معنى حقيقةِ تصديقِ الرُّؤيا، وإطاعةِ اللهِ في تنفيذِها.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 265، 266.
(2) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 3772.
(3) الرَّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سلم).
(4) القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: (سلم).
(5) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 373.
(6) الفرَّاء، معاني القرآن: 2/ 390.
(7) الزَّجَّاج، معاني القرآن: 4/ 311.

2) ﴿وَتَلَّهُۥ﴾: (تلل) أصلٌ يدلُّ على تكديسٍ بالضَّغط إلى أسفل حتّى يصيرَ الشَّيءُ جُثًّا رابيًا متماسكًا، ومنه التَّلُّ: الكَومةُ المرتفعة من التُّراب والرَّمل، والتَّليلُ والمتلولُ: المصروع[1]، والمِتَلُّ: الرُّمحُ الَّذي يُتَلُّ به، أي: يُصرَعُ به[2]، ومعنى قولِه تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾، أي: أسْقطَه على التَّلِّ، كقولك: ترَّبَهُ: أسْقطَه على التُّراب[3]، أو: صرعَهُ على الأرضِ على أحدِ جَنْبَيه[4].

3) ﴿ٱلرُّءْيَآ﴾: (رأي) أصلٌ يدُلُّ على نَظَرٍ وإبْصارٍ بعينٍ أو بصيرة، والرُّؤيةُ: إدراكُ المرئيِّ، والرُّؤيا: ما يُرَى في المنام، على وزن (فُعْلَى)، وهي صورةٌ تظهر للقلب منامًا، وأصلها صورٌ لطيفةٌ تنفذ إلى القلب، أو تتكوَّن فيه، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾[5].

4) ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟﴾: (بلو) أصلان: أحدهما إخلاقُ الشَّيء، والثّاني نوعٌ من الاختبار[6]، ومنه يقال: بلوتُهُ، أي: امتحنتُهُ، كأنَّه اختبارٌ للصَّبر وتحمُّلِ الاحتباسِ والبقاءِ على وضعٍ شديدٍ، ومنه البلاءُ والاختبار والغمُّ، وبَلَوْتُه: اخْتبرتُه كأنّي أخْلقتُه من كثرةِ اخْتباري له، وسُمّيَ الغَمُّ بلاءً من حيثُ إنَّه يَبلي الجسم، قال تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: 49][7]، والبَلاءُ: الاسمُ من أبْلَى، يُبْلي، ومن بَلا، يَبْلو، والبَلاءُ: لغةٌ في البِلَى؛ وبلوتُ الرَّجل بَلوًا وبلاءً وابتليته: اختبرتُه، وبلاه يبلوه بَلوًا؛ إذا جرَّبه واختبره، وابتلاه اللّهُ: امتحنه، والبلاء يكون في الخير والشَّرِّ، يقال: ابتليتُه بلاءً حسنًا وبلاءً سيِّئًا، والبَلِيَّةُ والبَلاءُ واحدٌ، والجمع البَلايا[8]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾، أي: الاخْتبارُ الظّاهر[9].

5) ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾: (فدي) أصلٌ يدلُّ على تبيُّن قَدْر الشَّيء، يقال: فَدَى يَفْدي فِداءً وفِدًى، وفَدَيْتُه بمالٍ، وفَدَيْتُه بنفسي، وفادَيْتُه بكذا، أي: قدَّمتُ قَدْرَ الأسير، أي: قيمَتَهُ، أي: ما يعادل حَجْمَهُ الحِسّيَّ أو المعنويَّ مِن مالٍ أو أسيرٍ آخر، قال تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، اللّسان: (تلل).
(2) الرَّاغب، المفردات: (تل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرَّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس: (تله).
(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 373.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرَّاغب، المفردات: (رأى).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بلوي).
(7) الرَّاغب، المفردات، وابن منظور، اللّسان: (بلا).
(8) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (بلا).
(9) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 80، والماورديّ، النُّكت والعيون: 5/ 62.

تُفَدُوهُمْ﴾ [البقرة: 85]، وتفادَى فُلانٌ من فُلان، أي: تحامَى من شيءٍ بذلَهُ[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، أي: جعلنا الذِّبحَ فداءً له، وخلَّصناه من الذَّبح بكَبشٍ أرسلناه إليه[2].

6) ﴿بِذِبْحٍ﴾: (ذبح) أصلٌ يدُلُّ على الشَّقِّ، والذُّبّاحُ: شُقوق في أصول الأصابع[3]، وذَبحُ الحيوان شَقُّ حَلْقِه، والذَّبح مصدر: ذَبَحتُه أذبَحُه ذَبْحًا، والذِّبحُ: المذبوح[4]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: 67]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[5].

المَعْنى الإجْماليُّ:

ابـتـلاءٌ عـظـيـمٌ، يُظهر قوَّةَ اليقين وصِدقَ الإيمان

يخبرُ اللهُ تعالى أنَّ الَّذي حدثَ مع إبراهيمَ وابنِه إسماعيلَ ﷺ هو الاختبارُ الواضحُ الجَليُّ، حيثُ أُمِرَ إبراهيمُ بذَبْحِ ولدِه، فلمّا استسلم الأبُ والابن، وانقادا لأمر الله تعالى، وصرع الأبُ ابنَه على أحد جنبيه، وجعل جبينَهُ على الأرض؛ ليذبحَه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه؛ ليكون أهونَ عليه؛ نادينا إبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا، أي: قد فعلت ما أمرناك به، ونفذت ما رأيته في رؤياك تنفيذًا كاملًا، يدلُّ على صِدقك في إيمانك، وعلى قوَّة إخلاصك، وهكذا نصرف عمَّن أطاعنا المكارِهَ والشَّدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا، وإنَّ هذا الذي ابتلينا به هَذَين النَّبيَّين الكريمَين، لهو البلاء الواضح، والاختبار الظّاهر، الذي به يتميَّز قويُّ الإيمان من ضعيفه، والذي لا يحتمله إلّا أصحاب العزائم العالية، والقلوب السَّليمة، والنُّفوس المخلصة للّه ربِّ العالَمين، وفدينا إسماعيل ﷺ بمذبوح عظيم في هيئته، وفي قَدْره؛ لأنَّه مِن عندنا، وليس مِن عند غيرنا[6].

(1) الرَّاغب، المفردات، وابن منظور، اللِّسان: (فدى).
(2) الماورديّ، النُّكت والعيون: 5/ 62، والبغويّ، معالم التَّنزيل: 4/ 35.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذبح).
(4) ابن دريد الأزديّ، جمهرة اللّغة: (ذبح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرَّاغب، المفردات: (ذبح).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 30، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 12/ 101، 102.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاء في ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾:

المبادرةُ إلى ما أمر الله تعالى به

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ﴾ عاطفة تعقيبيَّة دالَّةٌ على قُربِ زمنِ المبادرةِ إلى ما أمرَ اللّٰهُ به من زمنِ قول: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: 102][1]، وهذا يدلُّ على كمال امتثالهما لأمر الله تعالى لهما دون أدنى تردُّدٍ أو تفكير.

دلالةُ الأداة (لَمّا) في السّياق:

بيانُ أنَّ الاستسلامَ لأمرِ الدّيّان لحظة فارقة بين الكفر والإيمان

(لَمّا) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ اسم شرطٍ غير جازم تفيدُ الظَّرفيَّةَ الزَّمانيَّة، بمعنَى (إذْ)، أي: (حين أسْلَما)؛ وذلك لدخولِها على الفعل الماضي لفظًا ومعنًى[2]، وهي تربط جواب الشَّرط بفعله.

الاختلافُ في تعيين جوابِ (لَمّا):

كونُ الجواب محذوفًا مقدَّرًا، أو ظاهرًا مُعلَنًا، مفيدٌ في الإبانة

فعل الشَّرط هنا هو قوله: ﴿أَسۡلَمَا﴾، ولكنَّهم اختلفوا في تعيين جوابِ (لَمّا) على أقوال: الأوَّل وهو الأظهر: أنَّه محذوف، وتقديرُه: ظهرَ صبرُهما، أو أجْزَلْنا لهما أجرَهما، أو فَديْناه بكَبْش[3]، أو كان ما كان ممّا تنطقُ به الحال، ولا يُحيطُ به الوصفُ من اسْتبشارِهما واغْتباطِهما وحمدِهما لله، وشكرِهما على ما أنعمَ به عليهما من دفعِ البلاءِ العظيم بعد حُلوله، وما اكتسبا في تضاعيفِه بتوطينِ الأنْفُس عليه مِنَ الثَّوابِ والإعْواضِ ورضوانِ اللّٰهِ الَّذي ليس وراءه مطلوب[4]، أو فلمّا فعل ذلك سَعِدَ، وآتاه اللّٰهُ نُبوَّةَ ولَدِه، وأجْزلَ له الثَّوابَ في الآخرة[5]. والثّاني: أنَّ الجواب ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾، والواوُ زائدةٌ مُقحمَة، وهو قول الكوفيين والأخفش. والثّالث: أنَّ الجواب ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾، والواو زائدة[6].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 265.

(2) المراديّ، الجنَى الدَّاني، ص: 594.

(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 9/ 118، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 533.

(4) الزَّمخشري، الكشَّاف: 3/ 348.

(5) الزَّجَّاج، معاني القرآن: 4/ 311.

(6) أبو حيَّان، البحر المحيط: 9/ 118، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 533، وذكر فيه الاعتراض على القولين: الثَّاني والثَّالث بأنَّ الواو من حروف المعاني ولا يجوز أن تُزاد.

نُكْتَةُ مجيءِ جوابِ (لَمّا) معطوفًا:

الـدَّلالـةُ على الجوابِ تُستفاد من عطفِ بعضِ القصَّة

لَمّا كان جواب (لَمّا) محذوفًا، وقولُه تعالى: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ﴾ لا يصلح أن يكون جوابًا للشَّرط؛ لوجود الواو الدالَّة على جواب الشَّرط المحذوف، وكان في مجيئه في صورةِ العطف إيثارٌ؛ لما في ذلك من معنَى القصَّة، على أن يكون جوابًا؛ لأنَّ الدَّلالةَ على الجوابِ تحصُلُ بعطفِ بعضِ القصَّةِ، دون العكس، وحَذْفُ الجوابِ في مثلِ هذا كثيرٌ في القرآن، وهو من أساليبه، ومِثْلُه قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يوسف: 15 - 16][1].

نُكْتَةُ ذكرِ ضميرِ التَّثنية في ﴿أَسْلَمَا﴾:

استسلامُ الأبِ والابنِ لأمرِ اللهِ، نتاجُ الإيمان والتَّربيَةِ الصّالحة

ذكر النَّظمُ الكريمُ في قولِه تعالى: ﴿أَسْلَمَا﴾ ضميرَ التَّثنيةِ؛ للدَّلالةِ على أنَّ كُلًّا من الأبِ والابنِ اسْتسلما لأمرِ الله، وكان ذلك الاستسلامُ تضحيَةً من إبراهيم؛ لكونه جازمًا بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالًا لأمر ربِّه، وخوفًا من عقابه، وطاعةً مِن الابن الَّذي وطَّن نفسه على الصَّبر، وهانت عليه المبادرة للهلاك، في طاعة ربِّه، ورضا والده الَّذي عرض عليه رؤياه الصّادقة[2].

دلالةُ التَّعبير بالماضي ﴿أَسْلَمَا﴾:

تحقُّقُ الاستسلامِ لأمرِ اللهِ، ملمحٌ مفصليٌّ في القصَّة

جاء الفعلُ الماضي ﴿أَسْلَمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّق هذا الاسْتسلامِ لأمرِ اللهِ، من قِبَلِ إبراهيمَ وابْنِهِ ﷺ، والمعنى: فلمّا استسلما، وانقادا لأمر الله، وفوَّضا إليه سبحانه الأمر في قضائِه وقدره بمجرَّد أن تبلَّغا بالأمر؛ كان فرجُ الله أسرعَ، وكان لطفُه أظهرَ وأبهر[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 155.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 706.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 23/ 74 (بتصرّف).

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَتَلَّهُۥ﴾:

مباشرةُ أمرِ اللهِ مع الصَّبرِ وإرضاءِ الرَّحمن، مقصدٌ في البيان

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ عاطفةٌ، عطفَتْ جملتَها على قولِهِ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾؛ للدَّلالةِ على مباشرةِ الأمرِ بصبرٍ وجَلَدٍ؛ ليُرضيَ مع ابْنِهِ الرَّحمنَ، ويُخْزيا الشَّيطان[1]، فالعطف هو من باب عطف بعض أجزاء القصَّة على بعضها.

وقيل: الواو هنا زائدةٌ، والفعل (تلَّه) جواب الشَّرط لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾[2]، وهو قولٌ مرجوحٌ كما تقدَّم.

بلاغةُ استعمالِ الفعلِ (تَلَّهُ):

تحقُّقُ فعلِ إبراهيمَ، بإسقاطِ ابنِهِ على هيئةِ مباشرةِ الذَّبح

(تلَّه): صرَعَهُ على الأرض، وهو فعلٌ مشتقٌّ من اسم التَّلِّ، وأصلُ التَّلِّ: المكانُ المرتفع، وتلَّه: أسقطَه على التَّلِّ، أي: على العُنُقِ، والتَّليلُ والمتلولُ: المصروع، فدلَّ الفعلُ في مادَّتِه أنَّه صرَعهُ على الأرض[3]، يُقال: تللتُ الرَّجلَ؛ إذا ألقيته، والتَّلُّ الصَّرعُ والدَّفع، والمراد: أنَّه أضجعه على جبينه على الأرض، والجبينُ ما انكشف من الجبهة قاله السَّمين[4]، ومجيئُه بصيغةِ الماضي؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ هذا الفعل، وهو الإسقاطُ على العُنُقِ على الأرض.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ في قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾:

كمالُ الخضوع في التصاق الجبهة بالتُّراب

أفاد هذا التَّعبير معنى الكناية عن كمال الاستسلام لله تعالى، فقد بلغ الاستسلام بالابن وأبيه مبلغًا جعل الأب يصرع ابنه على التُّراب وهو راضٍ، حتّى بلغ بهما هذا الخضوع لأمر الله تعالى إلى أن أصبح أعلى جزءٍ في رأس الابن – وهو الجبين – مُلتصقًا بالتُّراب استعدادًا للتَّنفيذ.

---

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 348.

(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 9/ 118، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 464.

(3) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 171، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (تل)، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 153.

(4) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 11/ 411.

دلالة (ال) في لفظ (الجَبينِ):

التَّعريف للعهد الذِّهنيِّ

تعريف لفظ الجبين هنا للعهد الذِّهنيِّ، على معنى الجبين المعروف، وهو أحد جانبي مقدَّمة الرَّأس، وفي ذكر الجبين مُعرَّفًا ما يؤكِّد كمال الخضوع والاستسلام من إبراهيم ﷺ ومن ابنه أيضًا، ويمكن أن يكون تعريفه دالًّا على الاستغراق على معنى أنَّ التُّراب قد وصل إلى شقّي جبهته، وفي هذا المعنى دلالة أخرى على كمال استسلامهما.

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾:

مناداةُ الله لإبراهيم عند الامتثال، مُفْصِحٌ عن المآل إلى خير حال

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ عاطفةٌ لجملتِها على الجملةِ السّابقة عليها؛ وذلك أنَّه لمّا كان من الواضحِ أنَّ التَّقديرَ جاء جوابًا لما حدث فعلًا، أي: لمّا عالجَ إبراهيمُ ﷺ ذَبْحَ ابْنِهِ ﷺ بعزمٍ أمْضَى مِنَ السِّنان، وجَنانٍ في ثباتِه أيَّما جَنان، فمنَعه الله تعالى بقدرته وعَظَمتِه، وردّ شَفْرَتَه الماضيةَ عن عُنُقِه اللَّيِّنةِ بقوّته: عطفَ عليه قولَه: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾[1].

وتحتمل أن تكون الواوُ هنا زائدةً، والفعل بعدها (نادَيْناهُ) جواب ﴿فَلَمَّآ﴾، كما تقدَّم.

بلاغةُ المجازِ في إسنادِ المُناداة إلى الله:

بيانُ أنَّ أمرَ اللهِ منسوبٌ إليه، وإن كان بواسطة جبريل

مناداةُ اللهِ تعالى إبراهيمَ ﷺ مجازٌ عقليٌّ علاقته السَّببيَّة، ومعناها الوحيُ بإرسالِ المَلَكِ جبريلَ ﷺ، وأُسندَتِ المناداةُ إلى الله تعالى؛ لأنَّه الآمرُ بها[2].

وفي هذا المجاز تفخيمٌ لشأن النِّداء، وتعظيمٌ لشأن البشرى الَّتي بُشِّرَ بها نبيُّ الله إبراهيمُ ﷺ.

نُكْتَةُ المناداةِ بالحَرْف (يا):

(يا) التي هي عند أكثر اللُّغويّين مستعملة في نداء البعيد، فإذا

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 266.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 153.

نودي بها القريب؛ فإنَّما هو لإنزال البُعد المعنويِّ منزلة البُعد الحِسّيّ تفخيمًا لشأنه، وللدَّلالة على علوِّ رتبة المُنادَى أو المُنادي، أو تنبيهًا له من غفلته، وحرف النِّداء هذا هو الأوحد من بين كلِّ حروف النِّداء الذي استعمله القرآن الكريم، وفي استعماله هنا في حقِّ نبيِّ اللّهِ إبراهيمَ ﷺ، في قوله تعالى: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾، وفي ذِكرِ اسمِه ﷺ دلالةٌ واضحةٌ على عُلوِّ منزلتِه، ورفيعِ شأنِه عند اللّه، وخاصَّةً أنَّ المنادي هو اللّهُ ﷻ[1].

تفخيمُ النِّداءِ لإبراهيم، دليلٌ على مقامه العظيم

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿صَدَّقۡتَ﴾:

التَّصديقُ: نسبةُ المخبِرِ خبرًا بصدقِه فيما أخبرَ به، يقال: صدَّقتُ فلانًا، أي: نسبتُه إلى الصِّدق، ولذلك يُستعمَلُ التَّصديقُ في كلِّ ما فيه تحقيقٌ[2]، وبهذا جاء الفعلُ ﴿صَدَّقۡتَ﴾ بصيغةِ الماضي؛ ليُفيدَ تحقُّقَ فعلِ إبراهيمَ ﷺ بما رآه في المنام، وبصيغةِ المبالغة؛ ليُفيدَ أنَّ إبراهيمَ صدَّقَ الرُّؤيا تصديقًا عظيمًا[3]، والخبر هنا قد يكون مُستعمَلًا في معنى الإنشاء، دالًّا على الاستفهام التَّعجُّبي على معنى: هلْ صدَّقت فعلًا هذه الرُّؤيا؟.

تحقُّقُ ما في الرُّؤيا من وقائع، بتصديق إبراهيمَ لها في الواقعِ

نُكْتَةُ استعمال فعل التَّصديقِ وتأكيده بحرف التَّحقيق:

تصديقُ الرُّؤيا: تحقيقُها في الخارج، بأن يعملَ صورةَ العملِ الَّذي رآه، يقال: رؤيا صادقة؛ إذا حصلَ بعدَها في الواقعِ ما يُماثلُ صورةَ ما رآهُ الرّائي، قال اللّهُ تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الفتح: 27]، وبضدِّ ذلك يقال: كَذبَتِ الرُّؤيا؛ إذا حصلَ خلافُ ما رأى، فمعنى ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾: قد فعلتَ مِثلَ صورةِ ما رأيتَ في النَّومِ أنَّكَ تفعلُه، ولذلك جاء الفعلُ ﴿صَدَّقۡتَ﴾ بصيغةِ الماضي، مع تقدُّمِ ﴿قَدۡ﴾ عليه الَّتي تفيدُ التَّحقيق؛ وذلك بقصدِ التَّأكيدِ على

تحقيقُ الرُّؤيا في الواقعِ بفعل إبراهيم، مبينةٌ عن المُراد الحكيم

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 266.
(2) الرّاغب، المفردات: (صدق).
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 266.

تحقُّقِ فعلِ إبراهيمَ بمبادرته لامْتثالِ أمرِ اللّهِ، وعدمِ تأخُّرِه في تنفيذِه، ودونَ أن يسألَ اللّهَ نَسْخَ ذلك، وفي هذا ثناءٌ من اللّهِ تعالى على إبراهيمَ عليه السلام، والمُرادُ: أنَّه صدَّقَ ما رآه إلى حدِّ إمرارِ السِّكّين على رقبةِ ابْنِه، فلمّا ناداه جبريلُ بألّا يذبحَه، كان ذلك الخطابُ نسخًا لما في الرُّؤيا من إيقاعِ الذَّبْح، وذلك جاءَ من قِبَلِ اللّهِ، لا من تقصيرِ إبراهيم، فإبراهيمُ صدَّقَ الرُّؤيا إلى أن نهاهُ اللّهُ عن إكمال مِثالِها، فأُطلِقَ على تصديقِه أكثرَها أنَّه صدَّقها، وجُعِلَ ذَبْحُ الكبْشِ تأويلًا لذبحِ الولدِ الواقعِ في الرُّؤيا[1].

نُكْتَةُ فصلِ جملة: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي﴾:

جاء الفصلُ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ تعليلًا لتخويلِ ما خوَّلَه اللّهُ لإبراهيمَ وابنِه إسماعيلَ عليهما السلام، من الفَرَجِ بعد الشِّدَّة، والظَّفَرِ بالبُغيةِ بعد اليأس[2]، فهي تعليلٌ لجملةِ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾؛ لأنَّ نداءَ اللّهِ إيّاهُ ترفيعٌ لشأنِه، فكان ذلك النِّداءُ جزاءً على إحسانِه[3]، فعلى هذا يكون تركُ العطف إمّا لكمال الاتِّصال؛ لكونها جملة تعليليَّة للجملة السّابقة لها، وقد يكون تَرْكُ العطف للاستئناف البيانيِّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: لماذا جازاه ربُّه بأن أوقف تنفيذ المهمَّة ونزع عن السِّكّين خاصّيَّة القطع؟ فكان الجواب: أنَّ هذا هو شأنه تعالى في جزاء المحسنين.

تعليلُ عِظَم ما منَّ اللّهُ به على إبراهيمَ وابنِه

دلالةُ عَوْد الإشارةِ في ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

الإشارةُ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلى المصدرِ المأخوذِ من فعلِ ﴿صَدَّقْتَ﴾ من المصدر، وهو التَّصديقُ، مِثلَ عَوْدِ الضَّمير على المصدرِ المأخوذِ من قوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8]؛ أيْ: إنّا نجزي المحسنينَ كذلك التَّصديق؛ أيْ: مِثلَ عظَمةِ

عَظَمةُ التَّصديقِ، تقتضي عظمةَ الإحسانِ المُشار إليه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 153، 154.
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 348.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 154.

ذلك التَّصديقِ نجزي جزاءً عظيمًا للمحسنين؛ أي: الكاملين في الإحسان؛ أيْ: وأنتَ منهم[1].

بلاغةُ التَّشبيهِ في ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي﴾:

لمّا كان لفظُ الجزاءِ لما يتضمَّنُه من معنَى المكافأةِ ومُماثلةِ المجْزيِّ عليه؛ عَظُمَ شأنُ الجزاءِ بتشبيهِه بمُشَبَّهٍ مُشارٍ إليه بإشارةِ البعيدِ المفيدِ بُعدًا اعْتباريًّا، وهو الرِّفعةُ وعِظَمُ القَدْرِ في الشَّرَف، فالتَّقدير: إنّا نَجْزي المحسنينَ جزاءً كذلك الإحسانَ الَّذي أحسنتَ به بتصديقِكَ الرُّؤيا؛ مكافأةً على مقدارِ الإحسان، فإنَّه بذلَ أعَزَّ الأشياءِ عليه في طاعةِ ربِّه، فبذَلَ اللّهُ إليه من أحسنِ الخيراتِ الَّتي بيدِه تعالى، فالمشَبَّهُ والمشَبَّهُ به معقولان؛ إذْ ليس واحدٌ منهما بمُشاهَد، ولكنَّهما مُتخَيَّلانِ بما يتَّسعُ له التَّخيُّلُ المعهودُ عند المحسنين، ممّا يقتضيهِ اعْتقادُهم في وعْدِ الصّادقِ من جزاءِ القادرِ العظيم، قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرَّحمن: 60][2].

إحسانُ اللهِ في كلِّ حالٍ، والإحسانُ مُفضٍ إلى حُسن المآل

دلالة ﴿إِنَّا﴾ ومُفاد ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

جاء التَّعبيرُ باسْمِ الإشارةِ (ذلك)؛ للدَّلالةِ على عظَمةِ الجزاء، وقد أُكِّدَ الخبرُ بـ (إنَّ)؛ لدَفعِ تَوهُّمِ المبالغةِ، أي: هو فوق ما تَعْهَدُه في العظَمةِ، وما تُقدِّرُه العقول[3]، ودخلت (إنَّ) على ضمير العظمة (نا) في قوله ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لتأكيد عظيم الجزاء؛ إذ هو جزاء العظيم ﷻ.

إحسانُ اللهِ لا يُدرَكُ كُنهُهُ

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿نَجۡزِي﴾:

التَّعبيرُ بالفعلِ المضارع ﴿نَجۡزِي﴾ يفيدُ التَّجدُّدَ والاسْتمرار، أي: نجزي باسْتمرارِ جزائنا للمحسنين بالخلاصِ مِنَ الشَّدائد، والسَّلامةِ

استمرارُ جزاءِ اللهِ للمحسنين، من فيوضات الكرم على عباده الصّالحين

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 154.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 154، 155.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 155.

من المِحَنِ بإحسانِهما، مِثلَ جزائِنا لإبراهيمَ وابنِه ﷺ، في تفريجِ ما أصابَهما من كُربةِ ذَبحِ الوالدِ لابْنِه، تصديقًا لرؤيا إبراهيم[1].

دلالة (ال) في لفظ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

مَنْ صَدَقوا وصبروا والتزموا، هُمُ المحسنون حقًّا

(ال) في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ جنسيّة للاستغراق الحقيقيّ[2]، فهم الكاملون في صفة الإحسان، وقد استحقّوا بصدقِهم وصبرِهم وثباتِهم أن يكونوا من المحسنين، وكان إبراهيمُ ﷺ أُنموذجًا في ذلك كلِّه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النّحل: 120].

نُكْتَةُ فصلِ جملة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟﴾:

الاختبارُ الصَّعبُ أمارةٌ على مَرْتبة المُبْتَلَى العظيمة

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ جاء مفصولًا عن الجملة السّابقة إمّا لكمال اتِّصاله بها تأكيدًا لمضمونِ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، أي: هذا التَّكليفُ الَّذي كلَّفناكَ هو الاختبارُ البيِّن، أي: الظّاهرُ دَلالةً على مرتبةٍ عظيمةٍ من امْتثالِ أمرِ الله[3]؛ إشارةً إلى أنَّ هذا الأمر كان ابتلاءً وامتحانًا لإبراهيم في صدق الخُلَّة لله، وتضحيَة أعزِّ عزيزٍ لديه، وأحبِّ محبوبٍ عنده، لأمر ربِّه تعالى[4]، وإمّا أنَّه جاء مفصولًا للاستئناف البيانيِّ جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ: لماذا اختصَّ إبراهيم وولده بهذا الجزاء العظيم؟ فكان الجواب: لأنَّ البلاء كان عظيمًا جدًّا.

نُكْتَة التَّعبيرِ باسْمِ الإشارةِ القريب:

القيامُ بأمرِ اللهِ الشّاقِّ على النَّفْسِ، دَأْبُ الصِّدّيقين المُخْلِصين

عبَّر النَّظمُ الكريمُ باسْمِ الإشارةِ القريب ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾؛ للدَّلالةِ على ما تقدَّمه في تصديق إبراهيمَ للرُّؤيا، بقيامِه بأمرِ اللهِ في ذَبْحِ ابْنِه، أي: إنَّ هذا الأمرَ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 545، 546، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 534.
(2) قباوة، المُفصَّل، ص: 1602.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 126.
(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 219.

الإلهيَّ والطّاعةَ فيه هو عينُ البلاءِ وأشدُّه على النَّفْس[1]، ويمكنُ أن يعودَ اسْمُ الإشارةِ إلى الجزاء، فيكون قد أفادَ عظَمةَ الجزاءِ في قوله: ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2]، وفي كلا الحالين فإنَّ التَّعبير باسم الإشارة القريب يفيد التَّعظيم للبلاء والجزاء.

غرضُ تتابعِ المؤكِّداتِ في السّياق:

جاء قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ مؤكَّدًا بـ ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسميَّة، واللّام في ﴿لَهُوَ﴾، مع ما اكتنفَ السّياقَ من ذكرِ المعارفِ، وهي اسْمُ الإشارة ﴿هَٰذَا﴾، وهو تأكيدٌ لما تقدَّمه من قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، أي: هذا التَّكليفُ الَّذي كلَّفناكَ، والَّذي بموجبه نِلْتَ مرتبةَ الإحسان، وتبوَّأتَ درجةَ المحسنين، هو الاخْتبارُ الحقيقيُّ البيِّن، أي: الظّاهرُ الَّذي ما هو إلّا دَلالةٌ على مرتبةٍ عظيمة من امتثالِ أمرِ الله[3].

تبوُّؤُ مرتبةِ الإحسان لا يكونُ إلّا بعد الفوز في الامتحان

دلالةُ اللّام في قوله: ﴿لَهُوَ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَهُوَ﴾ مزَحْلَقة تفيدُ التَّوكيد لمضمون الجملة، وهي في أصلها كانت لام الابتداء التي تدخل على المبتدأ، ولكن مع دخول ﴿إِنَّ﴾ - والتي تفيد التَّأكيد أيضًا - فإنَّ اللّام تزحلقها العرب لتدخل على الخبر بدلًا من المبتدأ حتّى لا يجتمع مؤكِّدان متجاوران[4]، أي: إنَّ هذا الَّذي ابتَلينا به إبراهيمَ ونجْلَهُ الكريم، لَهو البلاءُ الأكبر، والاختبارُ الأظهر، الَّذي به يتميَّز قويُّ الإيمان من ضعيفه، والَّذي لا يطيق حملَه إلّا أصحابُ العزائم العالية، والقلوبِ السّامية، والنُّفوسِ الرّاقية، والنّيّاتِ المُخْلِصة لله ربِّ العالمين[5].

تأكيدُ الخبر يُبين عن الدّلالة المقصودة

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 267.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 155.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 155.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 296.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 12/ 102(بتصرّف).

بلاغةُ القَصْرِ، وتعريف طرفَي الإسناد:

محنة إبراهيم عليه السلام مع ابنه عظيمة جدًّا

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ حُفَّت الجملة بعددٍ من المُؤكِّدات وبتنوُّعِ أساليب القصر فيها، ففيها قصرٌ بتعريف طرفَي الإسناد، وكذلك قصرٌ بضمير الفصل، وقد اجتمعا معًا لقصر الموصوف، وهو محنة إبراهيم عليه السلام مع وليده على صفة أنَّه بلاءٌ مبينٌ، وهو قصرٌ إضافيٌّ، والمراد بهذا القصر بيان عِظَم المحنة التي مرَّ بها إبراهيم عليه السلام مع ابنه.

بلاغةُ المجازِ في ذِكرِ لفظ ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟﴾:

لازمُ البلاءِ الشَّهادةُ بوصولِ صاحبِه لدرجةٍ عاليةٍ في الصَّبرِ واليقين

لم يأتِ لفظُ ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ على حقيقتِه وظاهره، بل هو مستعملٌ مجازًا في لازِمِه، وهو الشَّهادةُ بمرتبةِ مَنْ لو اخْتُبِرَ بمثلِ ذلك التَّكليفِ؛ لَعُلِمَتْ مرتبتُه في الطّاعةِ والصَّبرِ وقوَّةِ اليقين[1]، فوصْفُ البلاءِ بكونه مبينًا إنَّما هو وصفٌ في حقيقة الأمر للصَّبر العظيم الذي تحلّى به إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل، وهو في الوقت نفسه وصفٌ لعظم الجزاء الذي نالهما على هذا الصَّبر.

نُكْتَةُ وصفِ البلاءِ بأنَّه (مُبينٌ):

شدَّةُ البلاءِ دلالةٌ ظاهرةٌ على عُلوِّ مرتبةِ المُبْتَلَى

وصفَ النَّظمُ الكريمُ البلاءَ بأنَّه (مبينٌ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾؛ للدَّلالةِ على ظهورِه وشدَّةِ بيانه، أي: هذا التَّكليفُ الَّذي كلَّفناكَ هو الاخْتبارُ البيِّن، أي: الظّاهرُ؛ دلالةً على مرتبةٍ عظيمةٍ من امْتثالِ أمرِ الله[2]، مع كونِه ظاهرًا للعَيانِ أنَّه بلاء[3]، وبهذه المِحْنةِ البيِّنةِ الظّاهرةِ، يتميَّزُ المُخْلِصُ من غيرِه، وما وقع صعبٌ، ولا شيءَ أصعبُ منه، ولا تكادُ تَخْفَى صعوبتُه على أحد[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 155.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 23/ 155.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 267.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 126.

معنَى الواو في قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾:

فِـداءُ إبراهيمَ تشريفٌ له مكين، وإبقاءٌ لعَقِبِه إلى يوم الدّين

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ عاطفةٌ لفِعْلِها وجُملتِه على ما تقدَّمها؛ وذلك أنَّ النَّظمَ الكريمَ لَمّا قدَّمَ ما هو الأهمُّ من نَهْيِه عن علاجِه، ومن البِشارةِ بالجزاء؛ ذكرَ فداءَه بما جعلَه سُنَّةً باقيةً يُذكَرُ بها الذِّكرَ الجميلَ على مرِّ الأيّامِ وتعاقُبِ السِّنين، ولمّا كان المُفتدَى منه مَنْ كانَ الأسيرُ في يدِه، وكان إسماعيلُ في يدِ إبراهيمَ ﷺ، وهو يعالجُ ابنَهُ لتنفيذِ أمرِ اللهِ في رُؤياه؛ جعلَ تعالى نفسَه المُقدَّسَ فاديًا؛ لأنَّ الفادي مَن أعْطَى الفِداء، وهو ما يُدْفَعُ لفكاكِ الأسير، وجَعلَ إبراهيمَ ﷺ مُفْتَدًى منه تشريفًا له، واللهُ تعالى هو المُفتدَى منه حقيقةً، ولذلك قال تعالى عاطفًا هذا الفداءَ على ما تقدَّمه: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بجملة: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ وإسناد الفعل لضمير العظمة:

تحقُّقُ وقوعِ الفداءِ، وارتباطُ عِظَمِهِ بعِظَمِ المُفْدَى

الفِداء: حِفظُ الإنسانِ عنِ النّائبةِ بما يَبْذلُه عنه، وقد يكونُ الفداءُ بالمالِ أو بالنَّفس[2]، وجاء هنا قولُه: ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ فِداءً لإسماعيل، أي: جعلنا الذِّبْحَ فداءً له، وخلَّصناه من الذَّبحِ بِكَبْشٍ أرسلْناهُ إلى أبيه إبراهيمَ، ولتحقُّقِ ذلك الفداء جاءت صيغةُ ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ بصيغة الماضي[3].

بلاغةُ المجازِ في قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾:

صاحبُ الفداءِ والآمرُ به هو اللهُ المحيط بكلّ شيء

أسْنَدَ النَّظمُ الكريمُ الفداءَ إلى اللهِ تعالى في قوله ﷻ: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾؛ لأنَّه هو المُعطي له، والآمرُ والآذِنُ به على التَّجوُّزِ في الفداء؛ تكريمًا من اللهِ ﷻ لإسماعيل وإبراهيم ﷺ، فهو مجازٌ عقليٌّ علاقته السَّببيَّة، فإنَّ اللهَ أوْحَى إلى إبراهيمَ أن يذبحَ الكبْشَ فِداءً عن ذَبْحِ ابْنِه، وإبراهيمُ الفادي بإذن الله، وابنُ إبراهيمَ مُفْدًى[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268.
(2) الرّاغب، المفردات: (فدى).
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 62، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/ 35.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 546، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 156.

معنَى الباء في قوله: ﴿بِذِبْحٍ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِذِبْحٍ﴾ باء البدليَّة أو ما تُسمّى المقابلة والمعاوضة، أي: بما ينبغي أن يُذبحَ ويكون موضعًا للذَّبْح، وهو كَبْشٌ؛ فداءً لإسماعيلَ عليه السلام[1].

نُكْتَةُ تنكيرِ لفظ (ذِبْح):

الـذِّبْحُ مناسبٌ للمقامِ على وجهِ عمومه

جاء تنكيرُ (ذِبْحٍ) في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ﴾؛ للدَّلالةِ على العموم والتَّعظيم دونَ تعيينِ نَوعِه وتفصيلِ هيئته، فهو ذِبحٌ بما ينبغي أن يُذبَح، إلّا أنَّه عظيمٌ في قَدْرِه ورُتبته؛ لأنَّه مقبولٌ ومُستَنٌّ به إلى يومِ الدّين، وهو عِوَضٌ عن نبيٍّ كريم، ابنِ نبيٍّ كريم[2]، وقد يكون التَّنكير للنوعيَّة على معنى أنَّ الذَّبيح من نوعٍ آخر غير الذي تعرفونه في الدُّنيا.

نكتةُ وصفِ الذِّبحِ بـ ﴿عَظِيمٍ﴾:

عَـظَـمـةُ الـفـداءِ بعَظَمةِ الفادي، ثـمَّ بـعَـظَـمـةِ المَفدي به

وصفَ النَّظمُ الكريمُ الذِّبْحَ بأنَّه عظيم، في قوله تعالى: ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾؛ لبيانِ أنَّه عظيمٌ في الجُثَّةِ سمين، وعظيمٌ في القَدْرِ والرُّتبة؛ لأنَّه يَفدي به اللّهُ نبيًّا ابنَ نبيٍّ، من نَسْلِه سَيِّدُ المرسَلين محمَّدٌ ﷺ[3]، وكذلك فإنَّ عَظَمتَهُ في قَدْرِه؛ لأنَّه مقبولٌ ومُسْتَنٌّ به، ومجعولٌ دينًا إلى آخرِ الدَّهر[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(تَلَّهُ) و(صَرَعَه):

(صَرَعه) أعمُّ مِن (تَـلَّـهُ) في سياق الاسـتـعـمـال القرآنيّ

أصلُ التَّلِّ: المكانُ المرتفعُ، والتَّليلُ: العُنُق، وتلَّه بمعنى: أسْقطَه على العُنُق[5]، والتَّليلُ والمتْلولُ: المَصْروع[6]، وبهذا يكونُ تَلَّهُ بمعنَى صَرَعَه[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 546.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 16/ 268.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرَّاغب، المفردات: (تلَّه).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، اللِّسان: (تلل).
(7) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 171.

وأمّا الصَّرْعُ؛ فهو سقوطُ الشَّيء إلى الأرض، يقال: صَرَعْتُ الرَّجلَ صَرْعًا، وصارَعْتُه مصارَعةً؛ إذا صَرَعْتُه، أي: أسْقطتُه إلى الأرض، ويقال: رجلٌ صريعٌ، والصَّريعُ من الأغصان: ما تهدَّلَ، وسقطَ إلى الأرض، والجمعُ صُرُعٌ، ومَصارِعُ النّاسِ: مُساقِطُهم، وفي غريب الحديث: "ما تعدّون الصُّرَعَة فيكم؟ قالوا: الَّذي لا يَصْرَعُه الرِّجالُ، قال: لا، ولكنَّه الَّذي يملك نفسَه عند الغضب"[1]، قال ابن الأثير: "وهذا من الألفاظ التي نقلها النَّبيُّ ﷺ عن وضعها اللُّغويِّ، لضَرْبٍ من التَّوسُّع والمجاز، وهو من فصيح الكلام؛ لأنَّه لمّا كان الغضبان بحالة شديدةٍ من الغَيظ، وقد ثارت عليه شهوةُ الغضب، فَقَهرَها بحِلْمه، وصَرَعها بثباتِه؛ كان كالصُّرَعةِ الَّذي يَصْرَع الرِّجالَ، ولا يصرعونَه"[2].

الرُّؤيا والحُلُم:

كـلاهـمـا في المنام، والرُّؤيا في الخير، والحُلُمُ في الشَّرِّ

الرُّؤيا: ما يُرَى في المنام، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: 27]، وقد قيل لعابِر الرُّؤيا: عابِر؛ لأنَّه يتأمَّل ناحيَتي الرُّؤيا، فيتفكَّر في أطرافها، ويتدبَّر كلَّ شيء منها، ويمضي بفكره فيها، من أوَّل ما رأى النّائم إلى آخر ما رأى[3]، وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: 64]، جاء في تفسيرها: في الدُّنيا الرُّؤيا الصّالحة يراها المؤمنُ في منامه، أو تُرَى له، وفي الآخرة الجنَّة[4].

وأمّا الحُلُمُ؛ فهو كذلك ما يَراهُ الإنسانُ في المنام، لكن غلبَت الرُّؤيا على ما يراه من الخير والشَّيءِ الحَسَن، والحُلُم: على ما يراه

(1) أخرجه أبو داود في سننه، برقم: (4779)، وإسناده صحيح.
(2) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: 3/ 24.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: 2/ 229.
(4) ابن سيده، المُحكَم: (بشر).

من الشَّرِّ والشَّيءِ القَبيح[1]، ويؤيِّدُه قولُ رسولِ الله ﷺ: "الرُّؤيا الصّالحةُ من اللهِ، والحُلُمُ من الشَّيطان"[2].

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 198، والكفويّ الحسينيّ، الكلِّيّات، ص: 185، 304.

(2) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (3292)، ومسلم في صحيحه، برقم: (2261)، وتتمَّةُ الحديث: «فإذا رأى أحدُكم ما يكره، فلينفُث عن يساره ثلاثًا، وليتعوَّذ بالله من شرِّ ما رأى ومن الشَّيطان، ثمَّ ينقلب على جَنْبه الآخر، فإنَّها لا تضرُّه».

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»